

رحيل.. آخره التفات



شعر

سعود بن سليمان اليوسف

رحيل.. آخره التفات

سعود بن سليمان اليوسف

١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م

عمري مذاق الصمت

صوت الإنتظار

وإذا رجعتُ أجوس ذاكرتي

تربّصَ بي صدى ذكراكِ

يخطفني بحالات استلاب

صينُ الرحيلِ كثيرةٌ

لكنّ أقسى رحلةٍ ما كان آخرها التفاتُ



رحيل..

آخره التفات

سعود بن سليمان اليوسف

النادي الأدبي الثقافي بجائل
دار الفردات للنشر - الرياض
١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م

ح) النادي الأدبي الثقافي في حائل، ١٤٤٢هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

اليوسف ، سعود بن سليمان

رحيل.. آخره التفات. / سعود بن سليمان اليوسف. /

حائل، ١٤٤٢هـ

٩٠ ص؛ ١٤ × ٢١ سم

ردمك: ١ - ٠ - ٩١٥١٤ - ٦٠٣ - ٩٧٨

١- الشعر العربي - السعودية أ. العنوان

١٤٤٢ / ١٦٨٤

ديوي ٩٥٣١، ٨١١

رقم الإيداع: ١٦٨٤ / ١٤٤٢

ردمك: ١ - ٠ - ٩١٥١٤ - ٦٠٣ - ٩٧٨



النادي الأدبي الثقافي بحائل :

حائل : ص.ب: ٢٨٦٥ - الرمز البريدي : ٨١٤٦١

هاتف: ٥٤٣٦٤١٨ / ٠٦ - فاكس: ٥٤٣٠٩٤٤ / ٠٦

الموقع الإلكتروني: www.adabihail.com



دار المفردات للنشر

الرياض - المملكة العربية السعودية

ص.ب: ٧٠٣ - الرمز البريدي: ١١٤٢١

هاتف: ٤٧٠٨٥٢٩ - فاكس: ٤٧٠٨٥٤٥

الموقع الإلكتروني: www.almufradat.com

البريد الإلكتروني: almufradat@gmail.com



حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فهرس

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٧
الرمل .. ومغامرة الكبرياء	٩
أصداء صوتٍ لم يَصِلْ!	١٤
أمس الذي لم يَجِئ	١٩
وَعَدُّنا الذي مضى	٢٢
أناقة فوضى	٢٥
الشهداء .. إذ يرسمون حياتنا	٢٨
انتظارٌ ولا موعد!	٣١
خيبة هدهد	٣٩
ريشة يخذلها اللون	٤٣
سلة المواعيد	٤٧
سيرته .. التي لا نسأل عنها خولة	٥٠
صباح بنكهة بحّتها	٥٧
صحراء انتظارٍ أنا .. وغيمة الموعد أنت	٦٠
عطش المعين إلى الجفاف!!	٦٤

الموضوع	الصفحة
أصداء.. لِمَا لم يقله الصوت!	٧٢
ما يُملِيه الرحيلُ وتكتبه خُطاهم!	٧٥
مباغطة الصدى.. وارتباك الصوت	٧٧
مجدافه.. وأمواج جفافها	٨٠
معلّقة اللثغات	٨٢
موعد لم يُقترح!	٨٥
نقش على شاهدة القبر	٨٧

هَلَاءَ

إليها..

كلما التفتُ!

الرمل .. ومغامرة الكبرياء

ظمئ

كصحراءٍ تُكابِر..

ما تسامتْ بابتهال رمالها نحو السحاب

لي كبرياء الرمل

لو تدرين عن شيم الياب!

للمل روحُ الريح

ذاكرةُ الحداء

أسى الرحيل

له انكسارات الإياب

للمل فلسفة السؤالِ

ولي ارتباكاً الجوابِ

أنا فكرة الخوف التي

رقصت بأحشاء السنابلِ

كلما عزفت خُطى تلك المناجلِ

أنا رقصة الأغصان..

هل تدرين ما معنى ارتعاش الغصن

إن غنّت مواسم الاحتطاب؟

* * *

عمري مذاق الصمت

صوت الإنتظار

وإذا رجعتُ أجوس ذاكرتي

تربّص بي صدى ذكراكِ

يخطفني بحالات استلاب

صبيغُ الرحيلِ كثيرةٌ

لكنّ أفسى رحلةٍ ما كان آخرها التفات

* * *

ما أوجع الظمأ المرير

إذا تدفق أنهرأ

والبيد موطن الاغتراب!

ما ثم غير الشوك يُصغي

كلما انهمر العتاب

يا صوتها المَطْري

في رملي اشتياقاتٌ سيحصدها الغياب

ما قيمة الغيمات خجلى

إذ يراودها انسكاب؟

إحكي لرمضائي ..

لقحط مجاهلي لغة الهطول

فسوف يفهمها التراب

وإذا هطلت

وأنت أعذب غيمة

لا تسألي الصحراء عن طعم السراب

أنا قد محضتُك رمل صحرائي

فلم يطمث رمالي البكر قبلك من ركاب

أنت الحضور

ولو هجرت

وكل من حضروا...

غياب

أصداء صوتٍ لم يَصِلْ!

الفصل الأخير من سيرة الطائر المحكي...

لصوتي الذي ما زال في ذمّة الصدى
أُراودُ ثغرَ الدهرِ.. حنجرَةَ المدى

أنا الدربُ من زوادة الخطوِ مُتخَمًا
فلم يبقَ لي خطوٌ ولا دربي اهتدى

وعاهدتُ دربي والحداءَ على السُرى
فلم يَعبِ ركبي موثقَ الدربِ والحداءِ!

ولي فكرةٌ كالعِذْقِ، هل ثَمَّ نخلةٌ
لتقنّني أن المدى ليس غرقداً؟

رَعَيْتُ قَطِيعَ الْحِلْمِ فِي رَوْضَةِ الْمَنَى
وَحَوْلِي رَعَتْ قُطْعَانٌ كَابُوسَهَا الْمُدَى

أَضْمَدْتُ بِالنَّجْمَاتِ لَيْلًا مَجْرَحًا
وَمَا زِلْتُ ضَوْءًا فِي الظَّلَامِ مَخْلَدًا

مِنَ الْأَمْسِ إِذْ يَحْتَلُّ مَسْرَحَ حَاضِرِي
وَتَهْمَتُهُ الصَّغْرَى اغْتِيالَاتُهُ الْغَدَا

أَتَيْتُ إِلَى الدُّنْيَا وَلِي فِكْرَةُ الرَّدَى
وَأَتَعَسُّ عُمْرٌ أَنْ تَعِيشَ لِتُؤَلِّدَا

وَمَنْ رَحِمَ الْأَغْلَالَ كَانَ مَقَرَّهُ
بِرُوحِ امْرِئٍ حُرٍّ؛ رَأَى الْمَوْتَ مَوْلِدَا

فعارٌ إذا خطّت مسيرتها الوغى
مجيئُك درعاً في الوغى.. جئ مهنّدا

عليّ عزيزٌ أن أرى صوت أمتي
بجغرافيا الأصداءِ صوتاً مشرّدا

وما أتفه الإنسان حين ترى له
لساناً بلا صوتٍ، وفكراً موطّدا!

فما الغيمُ همي دونَ رعدٍ غيوثه
كما الغيم يهمي بارقاً ثم مُرّدا

إذا الفكرُ لم تهطلُ شمسُ اعتاقه
ذوى صبحه واستنبت الليلُ سرمداً

يعزُّ عليَّ الليلُ يمضغُ لونه
ومن حوله تلقى الصباح مبدداً

وسيانٍ عند الصَّمِّ صوتك مُصلتاً
له لمعةُ المعنى وصوتك مُغمداً

أنا نكهةٌ كالجمرِ في شفةِ الشتا
وهل غيرُ نارٍ لو تُخاطبُ موقداً؟

إذا جرح الفلاحُ خاطرَ حقله
تفتقَ بوحاً حقله وتنهدا

بحنجرةٍ بحاءٍ تنزفُ صرخةً
أنبّه نؤاماً وأوقظُ سودداً

أصوغ اشتعالِ الإباءِ بنبرةٍ
لتقرعَ سمعاً في مدى التيهِ مُوصداً

أنِيخُ لها التاريخَ كي تمتطي العلا
وما اخترتُ إلا شرفةَ الشمسِ مقعداً

على صهوةِ الأصداِ أردفتُ صرختي
نُروءُ فضاءٍ بالوجومِ مُلبّداً

أحبّيتُ في ظليّ لقيطَ بنِ يعمرٍ
وأنشرُ في الأفاقِ خوفاً هدهداً

على طائرٍ من كبرياءِ بعثتها
فلا الطائرُ المحكيّ لاحَ ولا الصدى!

وأوجعُ من صوتِ يروءِ المدى سُدى
إذا ارتدَّ ترجيعُ الصدى متمرّداً

أَمْسِ الَّذِي لَمْ يَجِئْ

هنا كنا هوىً وهناك كنا
مزيجَ مشاعرٍ فرحاً وحزناً

وقد قَلِقَ المدى حتى التقانا
وصرنا فيه نبضاً فاطمأناً

سَمَرْنَا يا لذة ما سَمَرْنَا
عزفتُ لكِ الودادَ وكنتِ لحناً

قَطَفْنَا كَرْمَةَ النجماتِ سُكُراً
وداعبنا الكواكبَ.. أو كأننا

وَأَلْفْنَا الرِّبْعَ فَكُنْتَ رَوْضًا
وَعُذْرَانَا وَنَسَمَاتٍ وَمُزْنًا

وَعَنَّانَا الْوَجُودُ لِحَوْنِ عَشْقٍ
وَمَا أَحْلَى الْوَجُودَ إِذَا تَغَنَّى!

كَأَنَّا طَائِرًا جَذَلَ وَحِبًّا
وَنَحْسَبُ كُلَّ مَا نَلْقَاهُ غَصْنًا

أَرَاكِ بِكُلِّ مَا أَهْوَى وَيَحْلُو
لَأَنَّكَ لِلْجَمَالِ غَدَوَاتٍ مَعْنَى

مضينا سادِرَيْن وما عرفنا
سوى ضحكاتنا والحبِّ فنّا

وفاجأنا صباحٌ ذو ابتهاج
كأنّ من لَوْنِ روحينا تحنّي

بقينا مثلما كنّا صغاراً
وغادرنا الزمانُ وما تأنّي

وغدنا الذي مضى

أمانٍ أم ظلالٌ من أغانٍ
حضوركٍ مثل أسراب التهاني؟

وقفنا عند حبك في زمانٍ
لذيذٍ ليس من هذا الزمان

ينام الليلُ مدهوشاً ويصحو
على قلبين فيه ينبضان

وأغدقنا على الليل التشهي
وكم كنا كراماً بالأمان!

لدهشتكِ احتراقي وانطفائي
دُهِشْتِ من اشتعالي أم دخاني؟

لنا في ذمة الأَشْواق وعد
نراود طيفه في كل آن

أجيئكِ رافلاً صدري بحزني
لصدرك وهو يرفل في الحنان

إذا ناديتُ باسمكِ خِلْتُ حلوى
تذوب على شفاهي أو لساني

زرعتُ لك المدى غزلاً شهياً
لنقطف عشقنا عذب المجاني

وقلبي دُنُّ خمرٍ من شعورٍ
سكرتِ بها.. كما سكرتُ دِناني

لَقَيْتُكَ محضَ حُسْنٍ.. هل كثيرٌ
إذا لاقيتِني محضَ افتتان؟

أناقة فوضى

بيني وبينني لا اختلاف ولا شبهة
أنا صيغة الفوضى تجيء مرتبة

أنا حينما اندلقت خطاي نبت.. لا
أسى على كسل الدروب المجدبة

بعضي شتات.. لست أنكره، وهل
فلك تكامل وهو ينكر كوكبه؟

بي حيرة الظل الغريب.. كأنني
فأس السؤال بغابة من أجوبه

بي خيبةُ البحّار هادِن موجَه
وارتدّ مزهواً وعادى مركبَه

ما كان خيّل لي السرابُ خريره
أنا كنتُ قد أوهمتُه أنْ أشربَه

أجّلت ذاتي، ذكرياتي، والصبأ..
سحرُ الأمانِ أنْ تظلّ مغيبَه!

هو عالمُ الشعراء.. كونُ طقوسهم
فنُّ جراحهم.. أساهم موهبه

ولقد تبنيْتُ العذابَ تبنيًّا
أوليس أعذبُ ما نقاسي أكذبَه؟

خطأ الشروق إذا استبدَّ بروحه
معنى الليالي، أو تصنع مغربة

وأشد ما يلقي الرمادُ إذا بدت
ذكرى اللظى تحكي عليه تلهبه

لم أبتهج في يوم ميلادي..وبي
شغفٌ أرى يومَ الرحيل لأندبه!

الشهداء.. إذ يرسمون حياتنا

على لسان شهيد سوري.. كان طفله يبكي على جثمانه!

تعال وارضع دماء الثأر يا طفلي
واشرب ملامح من أسقوك من دخلي

أوقد طيوفي قتيلاً حولهم لهباً
واترك فؤادك حقداً فوقه يغلي

فمهر حرية الشعب التي سلبت
أغلى.. وإن كان من أثمانها قتلي

إذا سقيتُ ثرى حرיתי بدمي
ففي غدٍ سوف يجني شهداها نجلي

كُنْ أَنْتَ مَوْتِي وَكُنْ ثَأْرِي وَكُنْ وَطَنِي
وَصَوْتَ حُرِّيَّتِي وَالْمَوْقِفَ الدَّوْلِي

ها نحن في صفحة التاريخ قد كَتَبَتْ
دماؤنا الحمر ما أرواحنا تُمَلِي

هذا الربيع وقد بَلَّلَتْهُ بَدَمِي
لا خَيْرَ فِيهِ رَبِيعاً غَيْرَ مَخْضَلٍّ

عِذْراً إِذَا مِتُّ يَا طِفْلِي عَلَى عَجَلٍ
فَتِلْكَ فِلْسَفَةٌ لِلشَّهْدِ وَالنَّحْلِ

مستحيًا منك قد رتبتُ يُتممكم
مستحيًا من رفاقٍ قُتُّلوا قبلي

لا شيء مثل الردى يحيي كرامتنا
إذا مواعيدها غرّتك بالمطلِ

وأنت بعضي الذي مَوتِي لعزته
إن عشتَ حُرّاً فلإني لم أمتُ كُلِّي

انتظارٌ ولا موعد!

كم يغسل الوقتَ انتظاري موعداً
يأتي كرائحة الصدى
لِمُبَلِّلٍ بجفافِ موعدك الشهويِّ؟
أنا هنا..

قلمي لطلعتك العزيرة مترعٌ حبراً أغنُ
ورقي به النحل افتنُ
والجوّ مكتنزٌ بأسئلةٍ
حفيفٌ لحوحها يكسو بساتيني جفافاً..
لم يدعُ فيها من الثمرات إلا شادياً
غنى على غير الفن!

فمنحت إحساسي جواز تغربٍ
وحشدت في سُفني سؤالاً صارخ الألوان
حين أجدتُ عزفَ الرفض..
حين رقصتُ فوق مجامر المألوف مشبوب الرؤى!
لوَّنتُ صوتي بالهجير..
غمستُ في صوت الرعودِ سكونَ حنجرتي
محوْتُ بمعجماتي كلَّ لفظٍ هامسٍ الأصوات..
أستوحي من الأضواء لي لغةً
كجراحة صرختي!!

رددتُها..

فإذا لألوان الصدى شيء خفي الكنه

لكن ظلّه يحوي الفلك!

وعلى صدى الألوان

حين مزجتُ إنسانيتي معها وُلدتُ شذا

وتفكيري فراشات

ولا شيء يُحدُّ مداركي

حتى لقد أدركتُ أني في الأنام الظلُّ لك..

صوتي أنا
وأنا حروفي اللاهثاتُ
مُجاهراً بتفرُّدي..
لا شيء يشبهني سوى ظلي الذي أنهكتُه بترحُّلي
مترجلاً عن صهوة الأبواق
إذ عقروا خيول حناجر الشعراء
إذ غنيتُ للإنسان
جرّحتُ الجراحَ
وإنني لا أبتغي تجريحه
لكن ليعرف كيف تضميد الجراح
وكيف يحتمل الأسى!

وطنيّتي في وحدتي

متغرباً كمشاعري

كمشاعري متمرّداً

فأعزُّ ما أهديت لي حرية/ سيفٌ على الكلمات

ثَلَّمه سهيلٌ تجاوزي صحراء تفكيري!

وهأنذا أجازف بالحياة لأسألك:

ما للقصيدة بيننا جسداً يتاجر بانتهاك عفافه شعراؤنا؟

هتكت أنوثتها شفاةً جاثياتُ الفكرِ

حين تلمّظت بمدائح السلطان!

لو..

لو أنصفوك جثاً أمامك

كي يقبل أرجلك

تَرْفًا تَرْبَعُ فوق عرش اللفظ
إن الشمس أكبر من مداهنة المغيب
لأن أعمى قال: إني لا أرى إلا الحلّك
علّمتني أغنيّة الخيلاء
ثم أمرتني:
ألا أمارسها معك!

وإذا أتيتَ أتيتَ مكتظَّ الملامح بالغموض

أتيتَ منهكاً لتفكيري

تعذبني برقصي فوق أوجاعي

ولو لم تأتِ كانت متعة المنفى!

ولكن صرتُ يشبهني الورى!

تأتي متى؟

فأنا الذي يشدو وليس صدىً هناك ولا أذن!

تأتي متى؟

فأنا انتظارٌ كالبكاء

وليس ميعاداً!

أنا طعم الحنين إلى الرجوع

ولا وطن!

مارستُ متعةً ذلك المنفى...

فعدتُ أحبّ تعذيب الوطن!

خيمة هدهد

لا تسأل الجرح:

مَنْ داوى، وَمَنْ نكأ؟

أقسى الجراح سؤالٌ طالما انكفأ

هذا سؤالك قد كلّت يداه..

وذا بابُ الجواب

تراه مو صدأ صدئا

وهدهد الأمنيات البيض سافرَ في مدائن الروح

لكنْ لم يجد سبأ!

خبّأت أفراحك الغراء

فانطفأت ضحكاتها..

أنكدُ الأفراح ما اختبأ

وكم تلبّست إحساس القصيد

إلى صبيّة هرمت

والشعرُ ما قرئاً!

* * *

تشكو السراب وقد نمّقت صورته

لما سفحت عليها لونها الظمأ

كم انتبذت رصيف الصمت

تقطعه ..

مذ صار من حشد الغياب ممتلئاً!

محدودب الفكر تمضي للوراء

على أكتاف ظلّ هزيل اللون متّكئاً

تُملي على الخطوة الأولى تردّها

أضتكَ وعشاء دربٍ

بعد ما ابتدأ!

معنى سطورك في سفر الترحّل

لم يكن صواباً..

ولكن لم يكن خطأ!

إذا انتهى سفرٌ للصمتِ بُدئَه

قد يصبح الصمتُ

لو أصغوا له

نبأ

رضيت من غيمة الآمال موعدها

تمرّ بعض خيالاتٍ

ومحض رؤى

حرّض جراحك

لا تنفك نازفةً

ألست تدرك معنى الجمر منطفئاً؟

هُوية الجرح نzfٌ..

لذّة..

وجعٌ

ما قيمة الجرح للأحباب

لو براً؟!

ريشة يخذلها اللون

خذني إليك .. تعبْتُ

خذ بحصاني

قل أي شيء عنكما لأراني

قل أي شيء

أي شيء ...

كل ما تحكيه

جزء من صميم كياني

* * *

الليل كان قصيدةً

كُنّا بها شطرين

يحتملان أيّ معانٍ

ألهمتني حزني لأصبح شاعرا

فإذا طربتِ تروقني أحزاني

غَنَيْتُ .. كم غَنَيْتُ!

حتى خِلْتُ أَنِي عاشقٌ

لكنْ بروحِ كمانٍ!

ولكم تمنينا

تمنينا...

فأصبحنا من الأحلام

محض أمان!

عَتَّقْتُ نفسي في هواك قصيدةً

كالخمر حين تغرَّلتْ بدنان!

ونفثُ فيك من الدلال حديقةً

ونفضتُ عنك رتابة الكتبانِ

ورسمتِ لي غرقى

وأجملُ لوحة للحب

ما رُسِمَت بلا شطآنِ

* * *

يا شهقة الذكرى..

حقول ودادنا

مطمورةٌ في قاحل النسيانِ

تذوي عناقيد الأغاني

من جفاف تناغم الأوتار والألحانِ

فَتَقْتُ أَشْجَارِي ..

فَكَيْفَ قَطَفْتُ هَجْرَةَ طَيْرِكِ الْغَرِيدِ

عَنْ أَغْصَانِي؟!

هَلْ ذَنْبُ فِكْرَتِي الَّتِي أَبْدَعْتُ

أَنْ خَذَلْتُ تَفَنَّنَ رِيشتي أَلْوَانِي؟

سلة المواعيد

صُدْفَةٌ حَبْنَا، وَأَرْحَلُ صَدْفَهُ
هكذا.. حين ينكر الناي عزفه

انقسمنا نصفين: صوتاً ولحناً
فمتى نصفُها يعانق نصفه؟

لم نصفِّقْ لريشنا وهو ينمو
ربما يُخلَق الفضاء برفقه

وقف الشوق في هجير انتظار الـ
ـوعد.. حتى قد انحنى الظلُّ خلفه!

فيه حزنٌ كحزنِ صحراءٍ لما
أبصرَ الغيمُ كفَّها غَضَّ طرفه

أنتِ! ما أنتِ؟ غير جرحٍ كسولٍ
قد نسيناه حين ضيَّع نرفه

كلما هادنت مناي هوانا
سلَّ في وجهها غيابُك سيفه

حبُّنا شاعر متى ما تلظى
دهشةً من معناه لم يلق حَرفه

حين أبدعتِ لوحة البحر لم تُبقي
مكاناً لنا لنرسم ضِفّه

لينا كان مترفاً بالأغاني
والأُماني وبالعود مرفّه

عندما أزهرتُ حدائق شوقي
نسيْتُ سلةُ المواعيد قطفه!

عدتُ لليل بانكساراتِ عِذْقٍ
ناضجٍ .. والفلاح أهمل خرفه!

كل ما في يدي ليالٍ ووعدٌ
وانتظارٌ... قلبٌ بإحساس شُرفه!

سيرته .. التي لا نسأل عنها خولة

وحَثَّ راحلتيه الفقر والأدبا
يجرّ خلف رؤاه الشمس والعربا

في سيفه لمعة الأطماع ما انطفأت
كأنما اتقدت في نصله شُهبا

إذا توثّب خطو الكبرياء به
تخال أن جميع الدهر قد وثبا

يرمي به زمنٌ عاتٍ إلى زمن
أعتى .. فلم يشكُ إعناتاً، ولا تعباً

مسافر والمدى أصداء رحلته
يحدو لأُمّته الشارات والغضبا

لأمةٍ لم تزل في الأمس سادرةً
يا ويل من سكنوا في الحاضر الكُتُبا

تكلّست فوق ماضيهم مفاخرهم
وذلك المجد عن أوطانهم هربا

وفي زحام الهُويّات التي بُنيت
على المبادئ والتاريخُ ما كذبا

ذابت هويتهم.. ضاعت ملامحهم
كأنهم وُسط بعضٍ أصبحوا غُربا

فلم تُعدْ نجدُ تدري ما العراُرُ بها
وقد تخلّى بنو حمدان عن حلبا

تاريخهم محض آثار، ويُنكرهم
وينسبون له أعراقهم كذبا

إن اللقيط إذا ما كان مغرباً
لم يَعي أن يدّعي جاهاً ولا نسباً

تناسلت أمة المليار.. ما ولدت
إلا المآسي والأحزان والكُربا

ظلت تباهي بطول العمر تقطّعه
وعرضها كان طول العمر مغتصباً

سلاحها الشجب والصاروخ منطلق
هل يأخذ الثأر موتورٌ إذا شجبا

يُدُّ الجبان إذا كلَّت أو ارتعشت
تعللتُ كذباً أن الحسام نبا

خافت على الكرم من أن يستحيل على
يدٍ إلى خمرة؛ فاغتالت العنبا!

إن الألى زرعوا النيران ما قطفوا
غير الرماد.. وحقلُ النارِ قد جَدُّبا

والجمر أرحم ممن أشعلوه.. ولو
درى بما تثمر النيران كان خبا

لم يبقَ في جذوة الحطّاب من شرر
قد أَرهقَ الجمرَ مَنْ في صيفه التها

بئس الظَّمَاءُ إذا أحشاؤهم رَوَيْتُ
لم يَأْهَوْا.. اندفقَ الينبوعُ أو نضبا

تُغْرِى الصَّحَارَى العَقِيمَاتُ التي مُطِرَتْ
أَنْ تُلْبِسَ التَّهَمَ الغِيَمَاتِ وَالسُّحُبَا

لو يَعْلَمُ الغَيْثُ عَقَمَ البِيدِ مَا انْسَكَبَا
ولو درى الفجر بالعميان لاحتجبا

إنَّ النفوسَ إذا غاياتها قُصِرَتْ
فليس يرفعها أَنْ لَفَّقَتْ رُتَبَا

تراقصت حولها الأعداء رقصتهم
للقتل.. وهي انتشت من رقصهم طربا

تُبدي اعتراضاً ولكن.. ليس ثمَّ صدىً
فليس يُعبأ بالمسجون لو غَضبا

سيانٍ في عين من يرنو إلى قزمٍ
إنَّ يَلْقَه جالساً أو كان منتصباً

إن الغريق غريقٌ.. ليس ينفعه
أفي الأجاج قضى، أم في الذي عَذبا

لا تنفخن بها فالروح ميتةٌ
هل يُدرك القبرُ لو مرّت عليه صبا

فراقٌ بينكم الغاياتُ، واتخذوا
طريقهم في مدى أحلامهم سربا

لا تأسفن على البستان إن عَقَمَتْ
أشجاره واتَّخَذَ أغصانه حطباً

ولم يكن وطناً ما تستقر به
إن أصبح الوطن المزعوم مغترباً

فسِر وحيداً.. وأعلى المجد أصعبه
لولا البواسق لم نستعذب الرُّطباً

لا تسألن عن الأمجاد ذا نُسْكُ
ولا الألى قبعوا في الكُتُب، والخطباً

وسائلِ السيف يخبرك اليقينَ ففي
بريقه المجدُّ، «والدنيا لمن غلبا»

ولن تُعزِّك أغمادُ مذهبٍ
إذا اتخذت سيوفاً للوغى خشباً

صباح بنكهة بحتها

حضورك.. أم فجر يؤثّق لي صُبْحَه؟
وصوتك.. أم نايّ حيّ به بَحّه؟

تراءيتِ كالبحري ملامح حلوة
وصوتاً كإيقاع التهاني وكالفرحة

ملأتِ صباحي بالبهاء، كأنه
قوارير عطر.. نفحةً نفحةً نفحةً

كأنك جنّاتٌ تسير.. كأنما
بمُترفة الغيمات من حلوقي لمحّة

وجئتُ طفلاً ما درى بعد ما الهوى
يظن الهوى حلوى، منى، لعبة، مزحة

تهجيتُ معنى الحب في كتب الهوى
قرأتُ قواميس الهوى صفحةً صفحةً

جمالك أشهى حصّة قد درستها
وكم أدعي أن لم أزل جاهلاً شرحه!

وهاهي أشواقي إطارٌ وفكرةٌ
وعلبة ألوان.. متى نُكمل اللوحة؟

خسرتُ فؤادي مذ ربحْتُ مليحتي
ويهوى خسارات الهوى من رأى ربحه!

نسيْتُ الذي لقّنتني لحظة اللقاء
وقلتُ وقد أكبرْتُ حسنك: يا ملحه!

فلا تتركيني كالصغير الذي جرى
للعبته.. فارتد مصطحباً جرحه

صحراء انتظار أنا .. وغيمة الموعد أنت

تأخرت .. والمشتاق لا يتأخر
وبي لهفة يا عذبة الصوت تكبر

أنضد لي مقعدين وشرفة
وكأسين من شاي وصوتك سكر

وأعذب ساعات الغرام إذا التقى
بها شاعر مع طيف حسناء يسمر

شفاهي يراع الشوق .. حبري من شذا
وشعري قبلات وخذك دفر

إذا قلتُ: يا حسناء يا أروع المنى
تكادُ شفاهي من شذا اسمِك تقطرُ

وتصبحُ صحراءُ انتظاري خميلةً
بأجملِ أطيافِ اللقاءاتِ تزهَرُ

وإن غبتِ عن عينيَّ أرنو إلى الضحى
مليّاً.. كأني نحو وجهِك أنظرُ

أنا تاجرُ الأشواقِ يا سوقَ فتتي
وما زلتُ مذ تاجرتُ بالشوقِ أخسرُ

سهرتُ بحاناتِ المواعيدِ سادراً
على خمرةِ الأشواقِ أصحو وأسكرُ

تمرّين بي كالريح طيفاً معطّراً
وما مرّ بي من قبل طيفٌ معطّر!

رسمتُك في شعري كأجمل غيمةٍ
تقول ليّ الأشواق أن سوف تمطرُ

أزور أفراحي الأليمة للقا
وأوجعُ أفراح المُحبّ المزورُ

وفي مرفأ الميعاد ما زلتُ قارباً
تحدثه الأمواج أن سوف يُبحرُ

فكوني كما تهوين.. كالحلم غامضاً
ستحلو رؤانا حينما لا تُفسّرُ

وجسراً إلى عمري الذي صرت كـلّه
وعينين منها للطفولة أعبُرُ

أنا ذلك الطفلُ الذي رأسُ مالِه
أحاديثٌ عن عِطْرِ.. وشِعْرٌ مكسّرُ

أبعثرُ أشواقِي لـديكَ ولهفتِي
وأجملُ أشياء الصِّغارِ المبعثرُ

دعيني طفلاً في غرامِكَ لا ثغاً
أخافُ إذا سافرتِ أُنِي أَكْبَرُ

عطش المعين إلى الجفاف!!

نجدُ يا نجدُ والحديثُ شجونُ
رفرف الحبّ واستفاض الحنينُ

احضّنيني أتركُ سواكِ حبيباً
كلّ شيءٍ سواكِ نجدُ يهونُ

حدثيني واستنزي الشعرَ مني
إنّ شعري بعد النوى موزونُ

صار للحبّ داخلي عنفوانُ
أنتِ أنتِ الهوى وأنتِ الفتونُ

حدثيني.. فالحبّ في القلب إحساسُ
مهينٌ ولا يكاد يُبينُ

أخبريني عن أسرتي وبني الجيران
قُولي.. إِنَّ الحَدِيثَ شَجُونُ

عن صحابي.. لا لا اتركهم؛ فكلُّ
منهم صار بالكِذَابِ يدينُ

لستُ أبغي منه ابتسامته لا
إِنَّ موتاً أن يضحك التَّينُ

لستُ أبغيه؛ هل سيضفي على الأزهار
حُسناً إن أُبدع التلوينُ؟

حدثيني عن الحبيبة بعدي
هل أحسَّت يومَ استبدَّ الأنينُ؟

أتراها ظنَّت بأن سواها
في حياتي له مكانٌ مكينٌ!

يا منى النفس، لا تراعي.. فذاك الحبُّ
في الصدر مثلُ قلبي مصونُ

يا منى النفس، إن جسمًا به رُوحان
حلاًّ تألّفًا لا يخونُ

أنا يا بنت نجد صبٌّ وفيّ
غيرُ سالٍ، وبالحبيب ضنينُ

كلُّ شيءٍ رأيتُ بعدك تُربُّ
كلُّ ما قلتُ عنك دمعٌ سخينُ

لا تلومي إذا تبين ضعفي
لستُ ليثًا إذا رمى بي العرينُ

عن دموع الحنين لا تسأليني
لشؤون المحبِّ فيها شؤونُ

احفظي يا حبيبتي ذكرياتي
كلُّ شيءٍ به ابتدأنا ثمينٌ

صورتانا، رسائلي، ورسومي
والهدايا، والعطر، والياسمينُ

ابتدأنا ببسمةٍ منك خجلى
إنما ذاك الابتسام كمينُ

اقرئيها رسائلي، فتّشي فيها
يفاجئُك لؤلؤٌ مكنونُ

بلبلُ القلبِ شعرُهُ.. لا تقولي: اصمت
أحلو على الطيور السكونُ!

أرسلني يا (حسنا) طيفاً من الحسن
لتُصبِيكِ من قصيدي فنونُ

يا منى النفس، ذكرياتك في قلبي
نبض، ووسط سمعي رنين

ذكريني.. ولست ناسي عهدي
أوينسى ألحانه الحسنون!

غير أني قاسيت في نجد همًا
وجوى إذ تخطفتني العيون

تركنتني خواطري نضو وهم
وبقلبي كمثل جسمي طعون

راحل عنك لا وداع ولا لثم
وقلبي في راحتك رهين

راحل عنك خبط عشواء للآمال
إذ لي على صباي ديون

اتركي لي سرَّ الرحيل دفيناً
مثل سرِّ الغرام فهو دفينٌ

لا تُلحِّي حبيبتي لا تلحِّي
كم كلامٍ يَشِينُه التنوينُ

لي خيالٌ، وألف حُلُمٍ وحلمٍ
في صبا العمر، والأمانِ جُونُ

ورحيلٌ لا ينتهي.. وانتظارٌ
لمواعيدَ حينها لا يحينُ

ليس يجدي إذا قسا كلُّ ما حولي
أني على فؤادي ألينُ

نجدُ يا نجدُ، أرهقتني الشجونُ
وتخلَّت عن مقلتي الجفونُ

اسمحي لي أمدّ بالآه صوتي
ليس عذباً على القوافي السكون

نجدُ، قد قلب المواجه تسالي:
أنّي يقسو على الطين طين؟

أكره الحُسنَ كيفما كان حسناً
إن رنا لي بالحق قد طرف حنون

كم طبيب منى فؤادي شفاءً
بكلام كالشعر ليس يكون

لست أرجوك من طبيبي عطفاً
أو تحنو على السجين السجون؟!

أو تحنو على السجين السجون
حين يغلو في عشقه المجنون؟!

إلبي يا قيثاره الأرض صمتاً
إن شعري يا نجد فيك لحون

هكذا تلبس الحياة سكوناً
حينما تجتوي الطيور الغصونُ

وغنائي سئمتُه! فاعذريني
ليس للصُّمِّ ينفع التلقينُ

راحلٌ راحلٌ لأنقاض نفسي
لأنطوائي وإن حنّني السنينُ

وكذا تصبح الحياة انعزالاً
حين تُرمى على اليقين الظنونُ

اعذريني، بل اعذّليني لوجدي
ولأني معذبٌ وحزينُ

هكذا ينسج الربيعُ خريفاً
حين يظما إلى الجفاف المَعينُ

أصداء.. لما لم يقله الصوت!

اطوي سؤالك..

ما هيأت أصدائي

تاقت جهاتي..

وأوقاتي..

وأنحائي

يا منتهى المنتهى في العشق..

قد بدأت قوافل الشوق معراجي وإسرائي

تسمو لشرفتك الغراء

تحملني بلهفة

وُلدت في كوخِي النَّائِي

برئتُ من زورقي يا بحرَ فتتها

ومن شراعي.. ومجدافي.. ومينائي

لكِ انتمائي إذا حدثتُ عن نسبي

قد صار حبُّك أجدادي وآبائي

وصار مثل صباحي العذب ليلي
مذ أن صار طيفك إصباحي وإمسائي
فرتبيني ..

لقد أصبحت أجهلني
وعلميني أوصافي وأسمائي
هنا فؤادي الذي ...
صحراء صامتة

فلتعزفي مطراً من قلبك المائي
مُدِّي كصوت التهاني حقلنا فتناً
ها قد نثرتُ

فراشاتي

وَأندائي

وزودي الشمس من ذاك الحنان
لكي تمد للأرض إشعاعات أفياء

ثم اصبغي الليل من إشراق روحك
كي يَجَنَّ ليلُ الدجى في زِيّ أضواء
عطرية الصوت ..

من أي المعاجم قد صغيت الأحاديث؟
من قاموس أشداء؟!
ما كان أحلى ليالٍ كُلُّها سَمَرٌ
أرضي غرورك
بين الحاء والباء!

رشفْتُ صوتك ..
كم من نشوةٍ سألتُ:
أَتلك حَنجَرَةً
أم كأس صهباء؟!
صمتي لصوتك إجلالٌ ..

وكم خشعت
إذ رتل الغيمُ غيثاً روحُ صحراء!
إيقاع ضحككتك السحريُّ ..
منذ شدا أصبحتُ كلِّي كلِّي
بعض إصغاء!

ما يُمليه الرحيلُ وتكتبه خطاهم!

ما ودّعوك.. وما تزال تُلوّحُ
متهيئاً أبداً لأنك تُجرّحُ!

أنهكتَ تحتطبِ الشعور لدفعهم
وتعبتَ في صحراء قلبك تكدحُ

أوقدتَ شوقك في ظلام رحيلهم
للعابرين لعل قلبك يُلمحُ

لفَّ الضجيجُ الدربَ.. صمتك وحده
لفتَ انتباههم.. وصمتك أفصحُ

مرّوا.. -كذاكرة اليتيم وقفتَ إذ
دبّت طيوف العيد- تسأل: لوّحوا؟

وفررتَ للأمس البهيّ بحثت عن
معناك.. في كُتب الجوى تتصفح

ما ثم من ذكرى طفولتكم سوى
قلبٍ على أطيافهم يتأرجحُ

وهواك أغراهم بجرحك.. طالما
أغرى القطاف الورْدُ إذ يتفتّحُ

ها أنت وحدك.. حيث لا مضمار، لا
أحدٌ هنا، فعلام خيلك تضحُ؟

بمعارك الأشواق أوهى فارسٍ
قلبٌ بجرح حنينه يتسلّحُ

أملَى الرحيلُ على الدروبِ غموضَه
فهموا ولم تفهم.. خطاهم تشرُحُ

أن الحكاية لم تخنك.. وإنما
قد خنتَ دورك ثم خان المسرحُ

مباغثة الصدى .. وارتباك الصوت

إلى الناقدة التي فاجأتني بي...

يا للصدى! أين مني صوتي الطيني؟
تعبتُ أسأل عني في دواويني

أنا السجين بديواني، تقيّدني
سطوره مثل قضبان الزنازين

كالظلّ ينكرني بعضي وأنكره
كأنني لم أكن من بعض تكويني!

مشرّد.. لم أسرّ في وزن قافيةٍ
إلا تعثّرتُ واختلّت موازيني

شعري خريطة تيه.. كان مبدؤها الـ
شقاق بين دروبي والعناوين

أنا جروح المعاني، هل تضمّني
حروفُ بيتٍ رتيبٍ الشجو موزون؟

مَشَّتْ في دِلالاتي.. ففافيتي
إنْ تعترفْ بي تنكرني مضاميني!

مدَّثرُ برؤى الأضداد ملتحفٌ
كل القراءات ما استطاعت تعرّيني

كيف اقتحمتِ جدار الصمت عامدةً
واخترتني أنا من بين المساجين؟

جعلتِ من وحدتي أفواج أسئلةٍ:
من ذا يسائل عني.. من يناديني؟

ما ثمّ إلا بكاء الرمل، كيف إذن
فاجأتني بابتسامات الرياحين؟

غير الطيور التي قد هاجرت، وسوى
عُرِّي اصفراوي لم تثمر أفانيني

حدوت لي، وأنا الصحراء، قافلةً
من الغيوم.. سرى طيفُ البساتين

لكنْ هطلتِ تباشيراً لقابلةٍ
يا للبشائر في أيام تأبيني!

يا أنتِ، أي شرّاع كان غرّك إذْ
أغراك أن تمخري أمّواجَ محزون؟!

كراسة الليل ديواني.. وجئتِ وفي
يديك علبةُ نجّماتٍ لتلويني

صوتي سكوتي.. لي من وحشتي وترٌ
كيف استطعتِ برغم الصمت تلحيني؟

وكيف كيف بناي الضوء شاديةً
موسقتِ لحنَ الدجى من بحة الطين؟

هذا جنوني الذي فسّرتِ نبرته
فمرحباً بك في دنيا المجانين

مجدافه.. وأمواج جفافها

ما عدتِ..

لكن الدروب توهمت

من علم الطرقات أن تشوّقا؟!

في حقلٍ ليلٍ

كلما الأطياف سالت في سواقيه

التشوّق أورقا

يا بحر عينيها،

احترفتُ الموتَ..

هَبْ لي موجتين من الرموش

لأغرقا

بي طينةُ الأشواق

ترقب نفخةً من روحٍ وعدٍ حالمٍ

كي تُخلقا

أنا حلمُ بابٍ، مذ تَفَتَّقَ برعماً،

بيدِ بوردها تُمدُّ لتَطْرُقاً

لا تسألني الصبح الذي لقنته معنى الدجى..

بشموسه أن ينطقا

يجتاحني خوف العصافير

التي نسيَتْ مدى التحليق

من أن تُطلَقا

هي خيبة المجداف

مذ هيَّأتِ أمواج الجفاف

وقد أتيتُك زورقا

معلقة اللغات

إلى سُكْرَةِ البيت فراس..

وقد أكمل عامه الأول.. ومشينا جميعاً بخطواته الأولى

وجئت كأحلامنا المقمرة
ومثل صباحاتنا الممطرة

أيّا ظلي اللائخ.. ازدهرت
لأمسي معزوفةً مقفّرة

وصار بك البيت أحلى وأحلى
أوجهك ذلك أم سكره؟

عزفت لنا ضحكةً ضحكةً
بثغرك سبحان مَنْ بَلُورَه!

وهانحن حولك مثل السكرى
بكأس طفولتك المُسكره

فكم ننتشي طرباً حين تُلقني
علينا معلّقةً الشرثه

خطوت.. فكم نبتتُ من خطاك
حدائقُ وارفةٌ مُزهرة

وكم ذا امتطيت الوسائد حتى
كأنك في زهوهِ عنتره

وتأني كعاصفةٍ من صراخٍ
وتلغي سكينتنا المهدرة

وتصرخ تصرخ! ما ذنبنا
إذا أفلتت من يديك الكُره؟

صنعت الكوارث في بيتنا
أكان لك البيت مستعمرة!

فمتّهمّ أنت إن جاء يبكي
زيادٌ إذا لم يجد دفّره

ومَن كان نثر ألوانه؟
ويسأل: من كسر المسطرة؟

ومتّهمّ.. في يديك دليل
بإتلافك الروح والمسكره

تبعثر كل الأثاث.. وتأتي
تباهي بأنك من بعثره

فذنبي أنك (أعذبُ طفل)
(وأعذب طفل) لك المغفرة

موعد لم يُقترح!

ما اقترحتِ الوداع..

لكن وداعا

حسبي الآن غيرة والتياعا

كم عزفنا أحلامنا فسمعنا

كل هذي الدُّنا لنا إيقاعا

ضحكات بها صبغنا الليالي

فإذا الصبح ضاحكاً يتداعى

ورسمنا دروبنا..

كان أحلى ما رسمناه في الدروب

الضياعا

نحن أتخمننا بالوعد الأمانى

وبقينا - كما ترين - جاعا

وفرغنا إلا من الشوق ..

حتى ملأنا أشواقنا أوجاعا

يا رياحا عاهدتِ يوما شراعي

كيف يا ريحُ

كيف خنتِ الشراعا؟

سوف تبقين كالصدى ..

ذاك ما يُبقيه حبُّ

ما كان إلا سماعا

نقش على شاهدة القبر

يوم انطفأ العالم..

في روضة المسجد الشكلي التي تدري
وقد ندبتك أني نادبٌ صبري

وقفت.. ما زالت الأصدقاء حولي من
ترتيلك الفخم في أرجائها تسري

وها هنا المصحف المشتاق يسألني
ولا يريد بهذا الفقد أن يدري

وحاملُ المصحف المفجوعُ منكفيُّ
محدودبٌ: أين صوتُ الأنس والبشر؟

هنا الثلاثون جزءاً كلها شغفٌ
لكي ترتلها في الشفع والوتر

في هدأة الفجر لا صوتٌ هناك سوى
ديب تلك العصا تسعى إلى الفجر

لله قلبك ما أسمى سكينته!
كأنه صورة من ليلة القدر

سجادةً وكتابُ الله جانبها
لا شيء يبدو سوى هذين قد يغري

يكاد صدرك من فيض الطهارة يا
أبي يصير كمحراب على صدر

روح من الطهر والإيمان في جسدٍ
أم روحٌ طهرٍ بجسم صيغ من طهر؟

لما أهالوا على القبر الثرى انتقلت
إلى الحياة إلينا وحشة القبر

واستقبلتني زوايا البيت ذابلةً
تبكي طيوفك في أزمانها الخُضر

حدثنا هاهنا عن ثرمداء وعن
نخيلها قصصاً في نكهة التمر

حكيت عن طيف بيت الطين فانبعث
تلك الحياة خيالات من السحر

هل كنت تحكي لنا عن ثرمداء أبي
أم كنت تُشدنا شيئاً من الشعر؟

يا سيرةً بحكايا الكدح حافلةً
لبستُها يا أبي تاجاً من الفخر

لو أن للذكر بين الناس رائحةً
لكان ذِكرك، إذ أزهو به، عطري

هي الثمانون عامًا يا أبي ومضتْ
كأنما اختُصرت في سورة العصر